12 me Année No. 583

Lundi - 4 - 9 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

زواج الأقارب والأباعد

للأستاذ عباس محمود العقاد

... ...

« هل لى أن ألتمس لديكم الرأى فى أمر عنّ لى لم أوفق إلى غيركم أطمئن إليه ... لأعهد إليه فى الإجابة الشافية القوية ؟

« والمسألة هى مسألة زواج ذوى القرابة وخصوصاً القرابة « القريبة » بين من يسميهم الإنجليز أبناء العمومة cousins

« فقد زعم بعض من كتب فى هـذا الموضوع وقرأت لهم أن النسل يأتى هزيلاً معتل البنية والذهن ، كلما اقترب الزوجان فى النسب ، (ولنضرب مثلاً لذلك صاحب كتاب أصول الحضارة فى تدعيمه رأيه ببيوتات أوربا المالكة) ، كما قرأت أيضاً ما ينفى هذ القول ويثبت نقيضه .

« ثم إننى رأيت أن نبينا محمداً صلوات الله عليه قد ذهب إلى تزويج بنتين من بناته من رجلين من ذوى قرباها القريبة . فاستنتجت من ذلك أن لا غضاضة ولا مضرة فى مثل هذا الزواج .

« ومن هنا ترون التضارب والخبط بين علماء أوربا وأدباء العربية القدامى فى أمور هى من الأهمية بالمكان الأول ، لأنها تتعلق بمستقبل بنى الإنسان وما يرجى لهم على هذه الأرض من

ارتقاء فى بنية الجسوم والعقول والأخلاق .

« وعلى هذا نلتمس بين يديكم الحجة والصواب فى هذه المشكلة من الناحية البيولوجية والعلمية . . . وأما ونحن بصدد الزواج وما يدور حوله فليسمح لى الأستاذ أن أستفتيه فى اقتران المصريين من الأوربيات الغربيات من الناحية البيولوجية الحديثة . . . »

(الاسكندرية) « م . ش »

* * *

ومسألة الزواج اليوم - وبعد الحرب الحاضرة على الخصوص - هى إحدى المسائل التى يتجدد البحث فيها ، أو يعاد النظر إليها على ضوء من العلم الحديث والتجارب السابقة واللاحقة فى المجتمعات المختلفة ، حسبما تدين به تلك المجتمعات من العقائد الدينية والسياسية ، ولا سيما المجتمعات التى تفرض عليها عقائدها رأياً خاصاً فى بناء الأسرة وعلاقات الرجال والنساء

فالنظر إليها من بعض جوانبها مقدمة لنظرات كثيرة فى الواقع سيشغل بها أبناء مصر مختارين أو غير مختارين بعد زمن قصير .

ومن هذه الجوانب التى تستحق النظر أو تستحق إعادة البحث فيها جانب الزواج بين الأقارب والأباعد ، وما يقوله عنه المختصون بهذه الشؤون من علماء الاجتماع ومؤرخى طبائع الأجناس .

فالزواج بالأباعد ، وهو ما يسميه خبراء هذه الشؤون « إكسوجامى » Exogamy هو عادة أو شريعة من أقدم الشرائع فى المجتمعات الفطرية والمجتمعات التى أخذت بنصيب من الحضارة

ويندر بين هذه المجتمعات من لم يعرف « الإكسوجامى » فى صورة من صوره الكثيرة التى تتقلب على جميع الفروض وتتناقض أغرب التناقض فى بعض الأحوال .

فمن هذه المجتمعات ما يحرم فيه زواج الأخوين ولا يحرم فيه زواج الأب بنته ، ومنه ما يحرم فيه زواج هؤلاء جميعاً ومعهم أبناء الأعمام ، ومنه ما يحرم فيه زواج أبناء القبيلة الواحدة الذين ينتسبون إلى جد واحد ، ومنه ما يحرم فيه الحمل ولا تحرم فيه الصلات الجنسية .

والاختلاف فى تعليل هذا التحريم بين الباحثين فيه أكبر وأوسع من اختلاف القبائل فى هذه العادة ، وهذه الشريعة

فمنهم من يعزوها إلى غيرة الأب من ولده ، وغيرة الأم من بنتها ، ومنهم من يعزوها إلى رغبة الرجال فى إظهار القوة باغتصاب الحلائل من القبائل البعيدة ، ومنهم من يعزوها إلى « الطوطامية » ، أو اتخاذ حيوان من الحيوانات جداً للقبيلة كلها ورباً حارساً لجميع أفرادها ، فهم جميعاً فى حكم الأسرة الواحدة التى لا يجوز لها أن تأكل من لحمها ودمها » . . . ومنهم من يعزوه إلى الأسباب الاقتصادية ، لأن الأب يتقاضى مهراً من الزوج الغريب ولا يتقاضاه من ابنه أو ابن عمه ، ومنهم من يعزوه إلى ما يكون بين الأقربين من الألفة التى تضعف الرغبة الجنسية وتنشئ بين الأقربين علاقة من الرحم غير علاقة الزواج

وكل أولئك جائز أن يؤدى إلى تقرير هذه الشريعة فى الجماعات الأولى ، وإن غلب بعضه على جماعة وغلب غيره على جماعة أخرى .

وقد كان اجتناب الأقربين فى الزواج مذهباً معروفاً بين العرب ، وإن لم يتفقوا عليه ، فكان أناس منهم يعتقدون أن الولد يجيء من القريبة ضاوياً « لكثرة الحياء من الزوجين فتقل شهوتهما ، ولكنه يجيء على طبع قومه من الكرم » ، وفى ذلك يقول أحدهم :

يا ليته ألقحها صبيا فحملت فولدت ضاويا

ويروى عن النبى عليه السلام أنه قال : « اغتربوا لا تضووا » ، حديث لا نقطع بصحته ، لأنه عليه السلام قد زوج بنتيه من الأقربين ، كما ذكر الأديب صاحب الخطاب

أما الرأى الذى يوشك أن يستقر عليه الخبراء بهذه الشؤون فهو أن الزواج بالأقارب لا ضرر فيه من الوجهة البيولوجية إلا فى حالة واحدة ، وهى أن يغلب على الأسرة كلها استعداد جسدى لبعض الأمراض ، كما يتفق أن يغلب على بعض الأسر الاستعداد لأمراض الصدر ، أو اختلال الأعصاب أو سوء الهضم ، أو ما شاكل ذلك من دواعى الضعف التى تورث وتنتقل إلى الأبناء . فإن الولد إذا ورث الاستعداد للمرض من أبيه وأمه كانت وقايته منه أصعب من وقاية أبويه ، وهذه حالة لا شك فى ضررها ، سواء كان تشابه البنية فى أسرة

واحدة أو فى أسر غريبة . إذ لا يجوز لرجل مستعد لمرض من الأمراض أن يتزوج بامرأة مستعدة لهذا المرض على التخصيص سواء كانت من أهله أو غير أهله

أما فى غير هذه الحالة فزواج الأقارب مأمون من الوجهة البيولوجية على قول الأكثرين من الثقات . وقد روى وستر مارك فى كلامه عن أحدث الآراء فى موضوع الأكسوجامى مشاهدات بعض المعنيين بتجربة التلاقح بين الحيوانات فإذا بالكثيرين منهم يتفقون على أن هذه الحيوانات سلمت من عوارض الهزال المزعوم وأنجبت ذرية من أحسن أنواعها فى صفات القوة والنشاط ، ولا سيما الحيوانات التى يعنى بانتخابها وإبعاد الضعيف منها لأسباب فردية لا علاقة لها بالبنية الوروثة

ومع هذا أى قول من أمثال هذه الأقوال يمضى بغير خلاف من النقيض إلى النقيض ؟

فمن أعجب التناقض فى هذا الصدد أن الكاتب بت رڤرس Pitt—Rivers ينفى الضرر من تزاوج الحيوانات القريبة ويجعل شاهده على ذلك خيول السباق ، فإذا بزميل له فى هذه البحوث وهو سير جيمس بن بوكوت Boucat يناقض هذا الرأى ويتخذ خيول السباق نفسها حجة له على قوله ويهيب بقومه أن يدركوا ذرية الخيول الإنجليزية بدم غريب قبل أن يبلغ بها الضعف مبلغاً لا تجدى فيه المداركة

والقول الفصل فى هذا الخلاف غير مستطاع ، ولكننا نسيغ بالعقل سبب الضعف الذى ينجم من تزاوج الأقربين وهو اشتراكهم فى الاستعداد للأمراض والعوارض الخلقية أو الخلقية ، فإذا انتفى هذا الاشتراك فليس يتضح أمامنا سبب للتحذير من هذا الزواج ، وليس فيما شاهدناه من الأمثلة دليل على أن زواج الأقربين أضر بالذرية من زواج الأبعدين

* * *

أما زواج المصريين بالأوربيات فلا ضرر فيه من الوجهة الجسدية مع سلامة الزوجين ، وفيه إلى جانب هذا مزايا التلقيح بالدم الجديد الذى شوهدت حسناته فى كثير من الشعوب والأفراد

ونحن نعتقد أن المسألة هنا ليست مسألة اللحم والدم وصحة الجوارح والأعضاء ، ولكنها مسألة « الأعصاب » التى هى خزين الملكات والمواهب الخلقية والعقلية ومناط التفاضل الكبير بين الأقوام والأجناس . فقد تكون المرأة صحيحة الدم واللحم بريئة من عوارض السقم والهزال ، ولكنها لا تنفث فى أبنائها نشاطاً جديداً ما لم يكن مصدر هذا النشاط ذلك الخزين العصبى الذى تكنزه بعض الأمم بالتجارب النفسية والجسدية فى عشرات الألوف من السنين

فهذا الخزين العصبى هو الذى يستفاد من البناء بالأوربيات ولا سيما بنات الشمال

ومن هذه الوجهة لا اعتراض على زواج المصريين بالأوربيات أو من يشابههن فى هذه الخصلة ، وإنما يأتى الاعتراض على هذا الزواج من الوجهة القومية والوجهة الأخلاقية والوجهة الإنسانية على السواء

فالنساء المصريات اليوم أوفر عدداً من الرجال المصريين ، فإذا تركهن أبناء وطنهن ليبنوا بالأجنبيات فعاقبة ذلك عضل مئات الألوف من البنات فى سن الزواج ، وعاقبة هذا العضل فساد فى الأخلاق وبلاء على المجتمع المصرى يربيان على كل نفع مرجو من البناء بالأوربيات ولو كن من أفضل النساء

وهكذا يرى الأديب صاحب الخطاب أن شئون الأمم تعالج جملة من جوانب كثيرة ولا يقتصر العلاج فيها على جانب دون جانب . وعندنا أن الأمة التى تكون كل فتاة فيها متزوجة فى سنها المعقولة أسلم من الأمة التى ينجب فيها عشرة آلاف أو عشرون ألفاً نسلاً متفوقاً وإلى جوارهم ألوف العوانس يبتذلن أنوثتهن فيسرى فسادهن إلى البيوت جميعاً ويغرق ذلك النسل المتفوق فى لجته التى لا تدفعها شطوط ولا جسور

فنصيحة الفرد أن الزواج ببنات الأمم المتقدمة زواج صالح مطلوب

ونصيحة الأمة أن تترك بناتها معضولات بلاء غير مأمون . فإن تسنى دفع هذا البلاء وتحصيل النفع من البناء بالأوربيات المتقدمات فقد استطيعت خدمة الفرد والأمة على السواء

ولكنه على هذا احتمال بعيد .

عباس محمود العقاد

شـــعراء الشباب
ووجوب عنايتهم بثقافتهم الخاصة
للأستاذ دريني خشبة

ليس الغرض من هـذه الـكلمة تعيير شعراء الشباب بفقر ثقافتهم ، ولـكن الغرض منها هو التعاون العام بين من تهمهم نهضة الشعر العربي ، وبين أولئك الشعراء الذين تعتمد عليهم نهضتنا الأدبية كل الاعتماد في الأخذ بيد الشعر ، وتجديده ، والاتجاه به إلى الوجهات التي ظل الشعر العربي محروماً منها إلى اليوم

ونحن حينما ندعو إلى وجوب إحداث ثورة – أو نهضة – في الشعر العربي ، نؤمن بأن الثورة – أو النهضة – ليست عبثاً يستطيع أن ينهض به أولئك المتأدبون الظرفاء الذين عرفوا بعض موازين الشعر . وقواعد العروض ، فـكان حسبهم من الشعر كله هذه المعرفة البائسة التي انقلبت في رؤوسهم غروراً ذميماً ، وخيلاء لا تعرف التواضع ، وأحلاماً تشبه أحلام الصائغين في هذا الزمان بالأطايب والأشربات !

لا يستطيع جاهل أن ينفع نفسه ولا أن ينفع أمته ... ولا تستطيع جماعة من الجهلاء أن تضطلع بعمل يحتاج القيام به إلى علم وبصيرة وطول تجربة ... وقد طالبنا شعراء الشباب بإحداث نهضة في الشعر العربي تشمله كله شكلاً وموضوعاً ... فما راعنا إلا أن يظن أولئك المتأدبون الظرفاء أننا ندعوهم لهذا العمل ، ونعتمد عليهم في القيام به ... فأمطرونا بمئات كثيرة من هذياناتهم التي دعوها شعراً ... ومع إعجابنا الشديد بعدد كبير مما وصلنا من المنظومات الشائقة من مصر ومن جميع الأقطار العربية إلا أننا لم نستطع منافقة أصحاب الـكثرة الغالبة من المنظومات الأخرى التي تضطرنا إلى مصارحة إخواننا الظرفاء هؤلاء بوجوب النصح لهم بالانصراف عن قرض الشعر ، ومماطلة صناعتهم البائرة تلك ، التي سوف تجر عليهم عقابيل من الحسرات لا قبل لهم بهـا ... وليس في تعبيرنا بذلك الأسلوب قسوة على أحد ... فالمسألة جد لا لعب ... إنا مفتقرون إلى شعر جديد يشحذ من همة الأمم العربية ، وترى فيه تلك الأمم آمالها ومطامحها ، وترى فيه أدباً جديداً حياً سائغاً لا تقلد به العباسيين ، ولا تمشي به في آثار الأمويين أو الأندلسيين ... نريد شعراً تتجلى فيه شخصيتنا قوية مستقلة لها طريقتها الخاصة من الأداء والتفـكير ... لا شعراً مقلداً رثاً تكرثه روح الماضي ، وتجثم على صدره قيود الغابرين ... ونحن حينما هتفنا بشعراء الشباب ليتغنوا آمالنا الجديدة ، ولينشدوا لنا أنشودة العالم العربي الحديث ، لم نـكن نزعم أن هؤلاء الشعراء مبرأون من العيوب ، ولـكننا كنا نزعم أنهم أقدر على التجديد من الشعراء الشيوخ الأجلاء ، الذين نحبهم ونحترمهم . وإن خامرنا الشك في قدرتهم على التجديد ، لأنهم عاشوا معظم حياتهم في هذا القديم الذي لم يعرفوا غيره

غير أن الشعراء الشباب – أو أغلبية الشعراء الشباب – المشهورين وغير المشهورين فقراء في ثقافتهم إلى درجة محزنة ... والشاعر الفقير في ثقافته لا يستطيع أن ينهض بثورة في الشعر وإن حاولها ، وأرق في سبيلها عينيه ، لأنه مفتقر إلى الأدوات الأولى التي تمـكنه من إتقان عمله ، وتمهد له سبيله إلى قلوب قرائه ...

ولسنا ندري إن كان كلامنا هذا سوف يغضب أحداً من هؤلاء الشعراء ما دمنا صادقين فيه ، صادقين في إزجاء النصح لـكل شاعر يود أن تـكون له منزلة سامية في مستقبل هذا الشعر الذي ندعو إلى تجديده وإصلاحه

وشعر الشباب في الأقطار العربية فئتان . فئة تجهل اللغات الأجنبية ، وفئة تعرف واحدة أو أكثر من واحدة من تلك اللغات ... فالفئة التي تجهل اللغات الأجنبية لم تطلع على نماذج الشعر الأجنبي في لغاته الأصلية . وأكبر الظن أنها لا تدري ما الملحمة ولا الدرامة المنظومة ولا ما الشعر المرسل ... وليس في ذلك ضير قط على شعراء هذه الفئة ، وإن كنا نؤثر لهم تعلم إحدى هذه اللغات وإتقانها إلى الدرجة التي تساعدهم على مطالعة أشعارها لما للمحاكاة والإيحاء من أثر بالغ في تجديد شعرنا الذي نصبو إليه ، فإن لم يتيسر لهم تعلم إحدى اللغات الأجنبية ، فلا

أقل من استيعاب كل ما يترجم من ملاحم تلك اللغات ومن دراماتها ، ثم تمت ... بعبقرية العربية يتذكر أن تلك الملاحم وهذه الدرامات كانت شعراً في لغاتها الأصلية ، فليس ما يمنع أن ننظم مثلها أو أرق منها أو ما يدانيها بالشعر العربي ... وإن لم يرقنا الشعر المرسل الذي دعونا إليه ، ولا نزال نؤثره على غيره للملاحم وللدرامة المنظومة ، فنختر لنظم الملحمة أو الدرامة الطريقة العروضية التي نريدها . إذ لا ينبغي أن يحول الشكل دون الغرض

أما الفئة التي تعرف اللغات الأجنبية وتتقنها إلى الدرجة التي تقرأ بها الشعر الأجنبي قراءة مفهومة سائغة ، فهي الفئة التي أخرجت مصر والشرق العربي أحسن شعرائها ، ولسنا نريد أن نثير فتنة بين الفئتين بهذا التفضيل الذي لا يماري في حقيقته أحد ، بل نحن – على العكس من ذلك – نريد أن نتهم أغلبية الفئتين بأنها ضعيفة فقيرة الثقافة ، قليلة الاطلاع ، لا تحفل بأن تجاري تيارات الفكر العالمي ، ولا بمراكبتها تلك المواكبة التي تنعكس في أشعارنا – إما موافقة وإما معارضة وإما ابتداعاً

إن المكتبة العربية القديمة لتحفل بطائفة قيمة من كتب النقد التي تتجلى فيها عبقريات أسلافنا من النقاد العرب ، والتي تطلعنا على مرانة أدبية لا يقل كثير منها عما يروج اليوم من أساليب النقد الحديث في أوربا . . . فهل اطلع شعراؤنا الشباب — أو أغلبية شعرائنا الشباب — على هـذه الكتب ، وهل حاولوا الانتفاع بما أورده أصحابها فيها من كرائم اللفتات الأدبية التي تكون بمثابة القدحة ، والأذواق الشاردة ، كما تكون النار للذهب ؟

هل قرأ شعراؤنا الشباب — أو أغلبية شعرائنا الشباب — كتاب العمدة لابن رشيق ، أو كتاب نقد الشعر ونقد النثر لقدامة ؟ إنهم لا شك يسمعون عن كتاب الصناعتين للعسكري ، فهل فكروا في قراءته والانتفاع بما فيه ، أو بما في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، أو كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ؟! ثم كتب البيان والتبيين والكامل ومعاهد التنصيص وغيرها وغيرها من ذخائرنا التي لا تحضرنا الآن أسماؤها والتي لا داعي لحشد أسمائها ...

إن هذه الكتب وغيرها ثروة ثمينة في المكتبة العربية القديمة لا غنى عنها لشاعر يحترم نفسه ... شاعر يحس من نفسه بنواحي الضعف فلا يمنعه استعلاء أو غرور عن معالجتها بالإكباب على كتب القدامى من أبطال النقد الأدبي العربي ، ثم بما تصل إليه يده من كتب النقد الحديث المؤلفة أو المترجمة ، وهي كتب والحمد لله قد أنفق فيها مؤلفوها ومترجموها جهوداً محمودة مشكورة ، يجب أن تقابل من طائفة الأدباء عامة ، والشعراء بوجه خاص بحسن القراءة والمذاكرة ، حتى يكتب الكتاب ، وينظم الشعراء على هدى مما تلفتهم إليه تلك الكتب من عيوب الكتابة ومآخذ النظم ، وحتى يستطيعوا أن يفهموا روح القوة — أو روح النهضة — التي نطلب إليهم الاضطلاع بأعبائها في الأدب العربي عامة ، وفي الشعر العربي خاصة

ولدينا من كتب النقد الحديث طائفة صالحة جداً من إنتاج أشبال الجامعة ورجالها الصناديد ، ومن إنتاج كرام كتابنا الذين مهدوا لنا طريق نهضتنا ، وحملوا المشاعل الأولى بين أيدي أدبنا الغض المفتقر إلى الإصلاح والتجديد ... فهل قرأ شعراؤنا الشباب ، أو معظم شعرائنا الشباب ، شيئاً من تلك الكتب ، وهل انتفعوا بها في تنظيم إنتاجهم الأدبي ؟

إن الشاعر الذي يكتفي بمواهبه في توجيه منظوماته هو شاعر تعس ، لا يرجى منه خير كثير ... والشاعر الذي يبخل على نفسه بشراء عشرة كتب في النقد القديم والحديث هو شاعر فقير في تفكيره ، مريض في إنتاجه ، غاط في نومه المتلئ بأحلام النوكى والضعفاء ... تلك الأحلام المريضة التي لن يصيب منها الأدب العربي ، ولن يصيب منها الشعر العربي إلا ما أصاب من الزخارف الباطلة التي سماها أصحابها شعراً ، وما هي من الشعر في شيء ، لأنها عبث يفني النفوس ، ويكرب الأخيلة ، ويزهد الإنسان في إنشاد الشعر

وليس تقصير شعرائنا الشباب ، أو معظم شعرائنا الشباب في مطالعة كتب النقد هو كل ما نأخذه عليهم ، بل يحزننا أن نقرر أن أكثرهم لا يقرأون من الشعر العربي إلا قدراً ضئيلاً لا يقوّم ألسنة ، ولا يكسب ثروة ، ولا يربي ملكة ، ولا يطبع ذوقاً ، ولا يمد القريحة بما تفتقر إليه ساعة النظم من شتى التعابير وفنون الأساليب ... يبدو ذلك كله في استعباد طائفة بعينها

على هامش ذكرى المعرى

« داعى الدعاة » مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٥ —

من الآثار الأدبية التى تركها المؤيد فى الدين « داعى الدعاة » رسائله إلى أبى العلاء المعرى . وهى الرسائل التى نبهت الجيل الحديث للبحث عن هذا الداعية ، بعد أن ظل مجهولاً زهاء عشرة قرون ، ويرجع الفضل فى نشر هذه الرسائل إلى المرحوم الأستاذ مارجوليوث المستشرق الإنجليزى ، الذى نقل هذه الرسائل عن كتاب « معجم الأدباء » لياقوت الحموى ، ونشرها لأول مرة بمجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٨٩٦ ، ثم أعاد نشرها مرة أخرى بمجلة الجمعية الأسيوية سنة ١٩٠٢ ، وقدم لها بمقدمة صغيرة ادعى فيها أن هذه المناظرة كانت سنة ٤٣٨ هـ ولكنى أخالفه فى تحديد هذه السنة ، وأذهب إلى أن هذه المناظرة إنما كانت سنة ٤٤٩ هـ ، وعندى ما يؤيد ما ذهبت إليه ، فقد نقل ياقوت الحموى أنه « لما كانت المناظرة بين أبى العلاء ، وبين داعى الدعاة ، فى ذبح الحيوان ، أمر داعى الدعاة بأن يؤتى بأبى العلاء إلى حلب » . وفى الرسالة الثالثة والأخيرة من رسائل داعى الدعاة ، تصريح بأنه كان فى الشام أثناء هذه المناظرة . وهناك نص آخر ورد فى « المجالس المؤيدية » على لسان الخليفة المستنصر الفاطمى « حتى توجه من وجهناه من داعينا للقاء التركمانية فانعقد بينه (أى بين الداعى) وبينه (أى بين المعرى) من المناظرة مكاتبة لا مشافهة . فهذه النصوص تثبت أن هذه المناظرة جرت أثناء خروج المؤيد فى الدين لحرب طغرلبك ، وأن المؤيد كان بالشام وفى حلب ، وقد ذكرت فى مقالاتى السابقة أن المؤيد فى الدين خرج من مصر للقاء التركمانية سنة ٤٤٨ هـ وكان بحلب سنة ٤٤٩ هـ ، وتكاد تجمع المصادر على أن رسالة داعى الدعاة الأخيرة وصلت معرة النعمان بعد وفاة أبى العلاء بأيام قليلة ، ونحن نعلم أن المعرى توفى سنة ٤٤٩ هـ

من التعابير ، وطائفة بعينها من المعانى ، وطائفة بعينها من الأخيلة لقرائح الكثرة الساحقة من شعراء الشباب ... وذلك دليل جلى على فقرهم الثقافى ، وندرة اضطلاعهم على الشعر العربى الزاخر بأكبر ثروة لفظية يمتلكها شعر أمة من الأمم ... شعر عاش منذ أكثر من ألفى سنة ، ولا يزال يعيش ، وسوف يعيش ؛ وإن كنا نطالب له عيشاً جديداً وحياة ثائرة مختلفة الأغراض متغايرة المقاصد عما اعتاد الشعر القديم — وكل الشعر العربى أو معظمه ، فى رأينا قديم

وقد تشترك الفئتان ، الذين يعرفون اللغات الأجنبية والذين لا يعرفونها ، فى ذلك العيب الواضح ... أى عدم الاطلاع الطويل العميق على كتب النقد ، قديمها وحديثها ... وعلى دواوين الشعر العربى قديمها وحديثها كذلك . إلا أن تقصير شعرائنا ، أو معظم شعرائنا ، الذين يجيدون لغة أجنبية ، فى الاضطلاع على شعر تلك اللغة ، واستيعاب ما نقل إليها من أشعار اللغات الأخرى ، قديمها وحديثها ، هو تقصير لا تبرره أسباب وجيهة ، اللهم إلا الغفلة والكسل وتراخى الهمة ...

ولست أدرى كيف يطيق شاعر يجيد اللغة الإنجليزية مثلاً ألا يستوعب درامات شيكسبير وبن جونسون ومارلو ، وألا يقرأ منظومات برونتج وشلى وبيرون وتنيسون وسكوت الطويلة الرائعة التى هى بلا شك خير ما نظم البشر وأحسن ما تغنت به الإنسانية ... ولست أدرى كيف يطيق شاعر يجيد اللغة الإنكليزية مثلاً ألا يقرأ ما ترجم إلى هذه اللغة من ملاحم الأقدمين كالإلياذة والأوذيسة والإنياذة والكوميديا الإلهية مثلاً وهى تلك الملاحم الخالدة فى عالم الشعر ، والتى لا ندعو دعوتنا إلا ليكون لنا مجد شعرى يشبه مجدها أو يدنو منه ... ولست أدرى كيف يطيق من يجيد اللغة الإنكليزية مثلاً ألا يقرأ كتب النقد الرائعة التى كتبها هازلت أو أرنولد ، ومدلتون ولامبورن ، وريتشارد ، وسبنجارا ، ومن إليهم من أساطين النقد الحديث

وبعد ... فهذا كلام لا نريد به تعيير أحد من شعراء الشباب الذين نعقد عليهم آمالنا فى النهوض بالشعر العربى الحديث ، ولكنه كلام نريد به حفز همم شعرائنا الذين يرحبون بالنقد ويتشوفون إلى الكمال .

دريني خشبة

وهناك بعض نصوص أخرى تؤيدان هذه المناظرة التى كانت بين الأديبين العالمين حدثت سنة ٤٤٩هـ . وسبب هذه المناظرة كما حدثنا المؤيد فى مجالسه أنه جرى ذكر أبى العلاء المعرى فى مجلس الناظر بحلب ، فهجا الحاضرون أبا العلاء وأغروا الناظر بدمه ، وادعوا أن الغيرة على الدين تبيح قتله ، ولكن المؤيد فى الدين اقترح على الحاضرين أن يجرد لأبى العلاء من يحاجه ويناظره حتى ينكشف عواره وينحط قدره بين معاصريه ، ويتخذ الناظر من هذه المناظرة ذريعة للقضاء على هذا الزنديق الخارج عن الدين ، ثم نشط المؤيد لمناظرته تلك المناظرة التى كانت من أسباب خلود المتناظرين

ويخيل إلىّ أن المؤيد فى الدين لم يسرف فى الحكم على أبى العلاء إسراف معاصريه ، ولم ير فى عقيدة أبى العلاء ما كان يراه غيره ، فقد رمى المعرى بالإلحاد والتعطيل والخروج على دين الجماعة بل لا تزال عقيدة أبى العلاء إلى يومنا هذا موضع نقاش بين الأدباء والعلماء . أما رأى المؤيد داعى الدعاة فى أبى العلاء فقد وضحه فى مجالسه بقوله : قد انتهى إليكم خبر الضرير الذى نبغ بمعرة النعمان وما كان يعزى إليه من الكفر والطغيان على كون الرجل متقشفاً ، وعن كثير من المآكل التى أحل الله له متحرجاً . فهذا النص إن دل على شىء فإنما يدل على أن المؤيد لم يقبل كلام الناس فى أبى العلاء ، ولم يذهب مذهبهم فى اتهام دينه ، بل هذا النص دفاع عن تحريم المعرى للحوم تعففاً منه وتقشفاً

ويخيل إلىّ أيضاً أن غرض المؤيد من هذه المناظرة أن يعرف حقيقة مذهب أبى العلاء ، وأن يستوضح أسرار فلسفته وأسرار عقيدته فقد يكون أبو العلاء من الذين يتخذون التقية والستر حجاباً لهم ، ويوهمون الناس بغير ما يبطنون ولذلك بدأ المؤيد رسالته الأولى بشىء من الظرف والإعجاب بأبى العلاء ، ثم نراه فى الرسالة الثانية يسخر بأبى العلاء ويتهكم به ، وفى الرسالة الثالثة يصرح بأنه لم يجد عند أبى العلاء ما كان يأمله

أما جواب المعرى ؛ فيظهر منه أن أبا العلاء قد سمع بأمر المؤيد فى الدين داعى الدعاة من قبل ، وكان يعرف مقدرته وحجته فبالغ فى تعظيمه وتفخيمه ، إما خشية على نفسه من سطوة المؤيد وإما تأدباً معه فى المناظرة لمركز المؤيد فى الدعوة الفاطمية والدولة الفاطمية

ومهما يكن من شىء ، فالمؤيد فى هذه المناظرة ضيق الخناق على أبى العلاء ، وكان أبو العلاء يتلمس الطرق للهرب من خصمه فأخذ يحاوره ويحاول الفرار من موضوع المناقشة وداعى الدعاة من ناحيته يجذبه نحو موضوع المناظرة ؛ فسؤال داعى الدعاة كان عن الأسباب التى أدت بأبى العلاء إلى تحريم أكل اللحوم والألبان . فكان جواب أبى العلاء فى موضوع إرادة الله فى الخير والشر ، ثم البراءة من أشعار قالها بعض الملحدين . أما سؤال الداعى فلم يجب عليه جواباً شافياً . ولو طالت حياة أبى العلاء لظفر الأدب العربى بثروة أدبية فلسفية لها قيمتها

أما ما قيل من أن المؤيد داعى الدعاة أمر بأن يحمل إليه المعرى بحلب ليخيره بين الإسلام والموت ، وأن المعرى خاف على نفسه ، فشرب السم ؛ فهذا ما لم يقبله أحد من القدماء ولا المحدثين

والآن نتساءل هل كان المعرى يدين بمذهب الفاطميين ؟ فقد جاء فى كتاب « الفلك الدوار فى سماء الأئمة الأطهار » أن المعرى كان أحد دعاة الحاكم بأمر الله الفاطمى وابنه الظاهر » !

ولا أدرى من أين استقى مؤلف هذا الكتاب هذا الخبر إذ لم يقع بين يدى من كتب الدعاة ما يؤيد هذا الزعم ، بل لم أجد داعية من دعاة المذهب الفاطمى يشير إلى أن أبا العلاء كان من زمرتهم ولو صح هذا الخبر لوجدت الدعاة على عادتهم يطنطنون بذكر كل نابغة يظهر بينهم ، حتى لو فرض أن أبا العلاء اتخذ التقية لنفسه وستر حقيقة مذهبه ومرتبته فى الدعوة لما خفى ذلك عن كبير دعاة المذهب وهو المؤيد فى الدين ، ولما احتاج الداعى الأكبر إلى مناظرة المعرى لكشف ستره ومعرفة حقيقة مذهبه ، لأن الداعى الأكبر عنده سجل الدعاة ، وهو أعرف الناس بهم

حقيقة نجد فى لزوميات أبى العلاء بعض العقائد الفاطمية ، ولكن هذه الآراء التى ذكرها المعرى لا تقوم دليلاً على اعتناقه المعرى لهذا المذهب . فقد كانت التيارات الفكرية فى عصر المعرى تتحدث بهذه الآراء ، وكان المعرى فى وسط يخضع

على هامش النقد

بقية في المعانى والظلال

للأستاذ سيد قطب

قلت فى الكلمة الماضية : إن طريقة التصوير والتظليل هى الطريقة التي وردت فيها فرائد الشعر العربي التى تهيأت للشعراء على ممر الأجيال

وقلت : إن طريقة التصوير والتخييل هى قاعدة التعبير فى القرآن الكريم ، وأنه تفرد بطريقة التصوير — فى هذا المستوى — بين الشعر الجاهلى قبله ، والشعر الإسلامى بعده

وقلت : إن التعبير الذى يرسم المعنى صورة أو ظلاً ، يخاطب الحس والوجدان ، ويطبع فى النفس صورة من صنع الخيال ، وأن هذه الطريقة أقرب إلى طبيعة الفنون من الطريقة الأخرى التى تعنى بإبراز المعانى فى الأساليب الذهنية التجريدية

فلعله يكون من كمال البحث فى هذا الموضوع أن نعرض نماذج أخرى من الشرق والغرب ومن القديم والحديث ، غير القرآن الكريم — فى مستواه الرفيع — وغير الشعر العربي فى الجاهلية والإسلام

* * *

جاء فى « العهد القديم » — التوراة — كلام عن لسان « الجامعة بن داود » قال :

« باطل الأباطيل . الكل باطل . ما الفائدة للانسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس ؟ دور يمضى ودور يجىء ، والأرض قائمة إلى الأبد . والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق . الريح تذهب إلى الجنوب ، وتدور إلى الشمال . تذهب دائرة دوراناً ، وإلى مداراتها ترجع الريح . كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن . إلى المكان الذى جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة . كل الكلام يقصر ، لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل ، العين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلئ من السمع . ما كان فهو ما يكون ، والذى صُنع فهو الذى يصنع ، فليس تحت الشمس جديد . إن وجد شىء يقال عنه : انظر هذا جديد ، فهو منذ زمان كان فى الدهور التى كانت قبلنا . ليس ذِكرٌ للأولين . والآخرون أيضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم .

« أنا الجامعة . كنت ملكا على إسرائيل فى أورشليم . ووجهت قلبى للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات . هو عناء ردىء جعله الله لبنى البشر ليعنوا فيه . رأيت كل الأعمال التي عملت تحت الشمس ، فإذا الكل باطل وقبض الريح . الأعوج لا يمكن أن يقوّم ، والنقص لا يمكن أن يجبر . أنا ناجيت قلبى قائلاً : ها أنا قد عظُمتُ وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم ، وقد رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة ، ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ، ولمعرفة الحماقة والجهل . فعرفت أن هذا أيضاً قبض الريح . لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم ، والذى يزيد علماً ، يزيد حزناً .

هذا كلام قديم ، وترجمته ترجمة رديئة من حيث الأسلوب العربي . ولكن هذا لا يفقده طابعه الفنى العالى .

هنا إنسان ينخره السأم والملال ، ويطويه اليأس والقنوط

للنفوذ الفاطمي سياسياً ودينياً ، وشب المعرى وقد امتلأ فكره بعقائد الفاطميين وآرائهم ، وحوى منها الشيء الكثير ؛ فلما نضج واستطاع أن يميز بين المذاهب المختلفة والآراء المتباينة تخلى عن كثير من عقائده وآرائه السابقة التى كانت تسود بيئته وعصره ، وكون لنفسه مذهباً حراً لا يتقيد برأى ولا يتعصب لمذهب دون مذهب . فأغضب معاصريه سواء أكانوا على مذهب الفاطميين أم من جمهور أهل السنة ، واتهم فى دينه شأنه فى ذلك شأن كل المصلحين وزعماء الفكر الحر فى جميع أنحاء العالم

فالمعرى لم يكن من دعاة المذهب الفاطمى ، بل لم يكن ممن اعتنق هذا المذهب ، بل كان أشد الناس حرية للفكر ومن أكبر زعماء المسلمين والعرب دعوة إلى حرية الفكر .

(يتبع)

دكتور
محمد كامل حسين
مدرس بكلية الآداب بالقاهرة

ولكنه لا يقول : إنه ملول سأمان ، ولا أنه يائس قانط ، إنما يرسم لك صور الحياة والأشياء فى نفسه ، ويدعك ترى نفسه فى هذه الصور والأشياء :

الكل باطل . وحركة الحياة مكرورة معادة ، لا شيء جديد تتفتح له النفس ، ويتطلع له القلب . الأرض قائمة إلى الأبد ، والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق. والريح كذلك . تذهب دائرة وإلى مداراتها ترجع . والأنهار تجرى إلى البحر ، والبحر ليس بملآن ... فالطبيعة هنا — من خلال هذه النفس — يغشيها السأم والملال والتكرار العقيم .

ثم ماذا ؟

ثم هذا هو الإنسان . تقصر كلماته عن التعبير عما فى نفسه ، والعين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلئ من السمع ، فهو عبث كله ما يحاول من الكلام والنظر والسمع ، وسائر ما تهم به الجوارح والوجدانات . على أنه ليس هناك جديد تحت الشمس ، كل ما يكون فقد كان . ويزيد عبث المحاولة لأى شيء فى هذه الدنيا أن ليس ذكر للأولين ، وأن ليس ذكر للذين سيكونون ، فالكل ينسى وينطوى فى تيه النسيان ... !

الكل باطل ، والمحاولة عبث ، فالأعوج لا يقوّم ، والنقص لا يُجبر . والحكمة عبث كذلك ، فهى مصدر الغم ، والذى يزيد علماً ، يزيد حزناً

لا شيء إذن يستحق النظر . لا شيء يستحق المحاولة . وما على المرء إلا أن ينتظر فى سأم وملل وضيق ، حتى تنتهى هذه الأيام المكتوبة عليه ، ثم يجرفه التيار فيمضى كأن لم يكن ، وينطوى فى زوايا الإهمال كالآخرين !

هنا صورة نفس ، تلقى ظلها على الحياة والأشياء ، فتطبعها بطابعها ؛ يراها الرائى فتؤثر فى حسه ، وتنطبع فى نفسه ، لأنها نفس إنسان ، لا تركيبة ذهن . وهنا تشترك طريقة الإحساس مع طريقة التعبير ، فى التصوير والتظليل ، وفى إبراز نفس إنسانية من وراء الألفاظ ، ومن بين السطور ، على الطريقة التى فصلناها فى كلمات سابقات

* * *

فى ظل هذه الصورة نقرأ قطعة لتوماس هاردى الشاعر الإنكليزى الحديث : (ترجمة الأستاذ العقاد فى ساعات بين الكتب)

« إذا طلع الفجر ، ونظرت إلى الطبيعة المصبحة ، جدولاً وحقلاً وقطيعاً وشجراً موحشاً ، رأيت كأنما هى أطفال مكبوحة على مقاعد الدراسة تشخص إلىّ . وكأنما قد طالت عليها ثقلة الأستاذ فى أساليبه ، فبردت حرارتها ، ورانت على وجوهها السآمة والضجر والإعياء ، وكأنما تهمس بسؤال كان مسموعاً ، ثم تخافت حتى لا تنبس به الشفاه : عجباً ! عجباً لا انقضاء له أبد الزمان . ما بالنا نحن نقوم فى هذا المكان ؟ أتراها حماقة جليلة قادرة على التكوين ولكنها غير قادرة على القصد والترسيم . خلقتنا فى مزاح ، ثم تركتنا جزافاً لما تجيء به الصروف ؟ أم تراها آلة لا تفقه ما نحن فيه من الألم والشعور ؟ أم ترانا بقية من حياة إلهية قديمة تموت ، فقد ذهب منها البصر والضمير ؟ أم تراها حكمة عالية لم تدركها العقول ، ونحن فى جيشها « فرقة الفداء » والغلبة المقدورة للخير على الشر مقصدها الأخير ؟

« كذلك يسألنى من حولى ولست أنا بالمجيب ، وما تبرح الريح والمطر والأرض فى الظلام والآلام كما كانت وكما سوف تكون ، وما يبرح الموت يمشى إلى جانب أفراح الحياة »

ونحن نكتفى هنا بتعليق الأستاذ العقاد على هذه القطعة ، ففيه أقصى ما نبلغ أن نقول :

« إننا نضرب المثل الأعلى للبلاغة الشعرية بهذه القطعة التى تلوح له (يعنى القارئ الذى تهمه المعانى لا الصور النفسية) هزيلة ضامرة لا تساوى بيتاً من ابن نباتة ، ولا شطرة من صفى الدين ! لأننا نعلم أن الشاعر أراد أن يمثل بها « حالة نفسية » تحيك بنفسه ، فمثلها لنا أحسن تمثيل . أراد أن يصور لنا ملالة النفس العارفة بأسرار الحياة ونواميس الوجود ، فصورها فى سكون لا ادعاء فيه ، وإيجاز لا خلل فيه ، وبساطة يخطئها الجاهل فيحسبها من غثاثة الفضول . فهو رجل نظر فى عبث العواطف وعبث الحوادث وعبث النواميس ، فتولاه الضجر ، ونفرت نفسه ، ثم ثابت إلى السكينة والتسليم — فيم يحزن الحزين ، ويفرح الفرحان ، وفيم ينخدع الناس لهذه الآمال الكاذبة ، ثم لا يزالون ينخدعون بها ، وهم يعلمون أنهم مخدوعون ؟ فى لا شيء ! ... الخ »

وهذا نموذج من التصوير والتظليل ، الذى تتراءى من خلاله « حالة نفسية » تشترك فى رسمها طريقة الإحساس ، وطريقة التعبير

* * *

ونرجع إلى « العهد القديم » فنختار مقطوعة من « نشيد الإنشاد » المشهور :

تقول « شوليت » بطلة هذا النشيد :

« كالتفاح بين شجر الوعر ، كذلك حبيبي بين البنين . تحت ظله اشتهيت أن أجلس ، وثمرته حلوة لحلق ، أدخلنى إلى بيت الخمر وعَلَمُهُ فوقى محبة . أسندونى بأقراص الزبيب ، أنعشونى بالتفاح فإنى مريضة حباً . شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقنى . أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول : ألا توقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء

« صوت حبيبي . هو ذا آت طافراً على الجبال ، قافزاً على التلال . حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغفر الأيائل . هو ذا واقف وراء حائطنا ، يتطلع من الكوى ، يوصوص من الشبابيك . أجاب حبيبي وقال لى قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى . لأن الشتاء قد مضى ، والمطر مرّ وزال . الزهور ظهرت فى الأرض . بلغ أوان القضب . وصوتُ اليمامة سُمع فى أرضنا . التينة أخرجت فجها ، وقُعال الكروم رائحتها . قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى يا حمامتى فى محاجئ الصخر ، فى ستر المعاقل ، أرينى وجهك ، أسمعينى صوتك . لأن صوتك لطيف ووجهك جميل

« خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغار المفسدة للكروم ، لأن كرومنا قد أقعلت

« حبيبي لى ، وأنا له . الراعى بين السوسن إلى أن يفيح النهار ، وتنهزم الظلال ، أرجع وأشبِهْ يا حبيبي الظبي أو غفر الأيائل على الجبال المشعبة

ويقول حبيبها الراعى فى مقطوعة أخرى من النشيد :

« ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات . قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد . قلت : إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها ، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح ، وحنكك كأجود الخمر ، السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين !

« أنا لحبيبي وإلىّ اشتياقه . تعال ياحبيبى لنخرج إلى الحقل . ولنبت فى القرى . لنبكرن إلى الكروم ، لننظر : هل أزهر الكرم ؟ هل تفتح القعال ؟ هل نوّر الرمان ؟ هنالك أعطيك حبى . اللفاح يفوح رائحة ، وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبى »

فهنا صورة للحب الفطرى ، كأنما هو قطعة من حب الطبيعة ، يتفتح حين تتفتح ، ويفوح حين تفوح . الحبيب فتىً يقفز من فوق التلال المشعبة كالأيل ، والحبيبة كالنخلة وثدياها كالعناقيد . وهما يبرزان للطبيعة ويتواريان فيها كأنهما من كرومها الفائحة المتفتحة ، أو ظبائها وأيائلها الطافرة . أو يمامها فى محاجئ الصخر وستر المعاقل . ثم :

« لننظر هل أزهر الكرم ؟ هل تفتح القعال ؟ هل نوّر الرمان ؟ هنالك أعطيك حبى ! اللفاح يفوح رائحة . وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبتى »

وهذا منتهى الإحساس بحيوية الطبيعة ، والاستجابة ، كما تستجيب الطبيعة ، وفى إبانها المناسب وأوانها المعلوم . وكل هذا من خلال الصورة والظلال التى يرسمها التعبير للطبيعة وللنفس الإنسانية على السواء . وهى أعلى فى آفاق الفن من كل دعوة بالغزل على طريقة المعانى الذهنية التى تكاد تكون الوسيلة الوحيدة للتعبير فى شعر العذريين وغير العذريين ، فيما عدا الفلتات التى لا تكون القاعدة ، وإنما تكون الاستثناء القليل

* * *

وفى ظل هـذه المقطوعات القديمة نتملى قطعة الشاعرة الإنجليزية المعاصرة الرموز لها : « لورانس هوب » التى نقلناها فى مقالة سابقة تحت عنوان : « فى غير هذه الليلة » وقد جاء فيها :

لا . حين تشتهى استجابة الحب الكبرى

أقبل على والصباح يرتع فى الأنوار

والبلابل من حولنا مشوقة تصدح بالغناء

بين الورود من حمر وبيض

وبقيتها فى « عرائس وشياطين » وفى عدد الرسالة (٥٧٩) وقد قلنا فى التعليق عليها هناك :

هذه شاعرة وامرأة ، يبدو فى مقطوعاتها طريقة إحساسها

كتاب المصايد والمطارد

للكشاجم المتوفى سنة ٣٦٠ ﻫ

للأستاذ سعيد الديوه‌جي

كنت في صيف السنة المنصرمة قد عثرت على مخطوط قديم في المدرسة الحسنية في الموصل ، وتحققت بعد ذلك أن هذا المخطوط هو كتاب « المصايد والمطارد » لكشاجم الشاعر . وفي ١٤ أغسطس ١٩٤٣ أطلعني أحد الأفاضل في بغداد على مقال للدكتور الجليل إسرائيل ولفنسون « أبي ذؤيب » نشره في مجلة المجمع العلمي العربي عن كتاب « المصايد والمطارد » ، وقد كتب الدكتور الجليل بأنه يود أن يتعرف على نسخة غير نسخته فكتبت هذه الكلمة تلبية لطلبه .

بين مخطوطات المدرسة الحسنية في الموصل مخطوط قديم ذكره الدكتور الفاضل داود الجلبي في كتابه مخطوطات الموصل ص ١٢٢ تحت الرقم (٢٦) باسم « بازنامة » . حجم الكتاب ٢٣ × ١٦ سم وعدد صفحاته (١٩٠) صفحة في الصفحة الواحدة (١٧) سطراً . وهو مكتوب على ورق سميك ، ويظهر من قواعد كتابته وورقه والحبر الذي كتب به أن الكتاب يرجع إلى القرن السادس الهجري أو ما يقارب ذلك ، كما يظهر أن المخطوط قد تمزق على ممر السنين وأعيد تجليده مرة ثانية فأصلح غلافه وزيد في كل من أوله وآخره ثلاث أوراق بيضاء خالية من الكتابة ، وهذه الأوراق الستة تختلف عن ورق الكتاب الأصلي فهي : أقل سمكا وأنصع بياضاً . أما الورق الأصلي فقد اكتسب سمرة تدل على قدمه وخاصة حول الأسطر الكتابية فإن السمرة تزداد . وإن المجلد قد أخطأ في ترتيب أوراق الكتاب ، فوضع الورقة ٩٠ منه بعد الورقة ٩٣ اتضح لي هذا من سياق البحث . والنسخة التي بين أيدينا كثيرة الغلط والتحريف فيظهر أن الناسخ كان يجهل قواعد اللغة العربية ، فكان يمسخ بعض الكلمات بدلاً من أن ينسخها . ونجد قسماً من الكلمات خالية من الإعجام ، وأعتقد أن بعض هذا كان من إهمال الناسخ ، وأن البعض الآخر كان من تأثير الرطوبة في المخطوط

الصفحة الأولى من الكتاب كلها نقوش لازوردية ومذهبة ، ولكن الرطوبة وطول الأمد وعبث الأيدي أثرت في هذه النقوش فأزالت القسم الكبير منها وشوهت الباقي . في القسم الأعلى من هذه الصفحة دائرة كبيرة ظهر لي في وسطها كتابة باللون الذهبي تأملتها طويلاً ؛ فعلمت أنها اسم الكتاب « المصايد والمطارد » . أما وسط الصفحة فأعتقد أنها خالية من الكتابة وهي مجرد نقوش . أما أسفل الصفحة ففيها كتابة يظهر أنها كانت مكتوبة

بفرح الطبيعة وحزنها ، وتتبين الوشائج الحية بينها وبين هذه الأم الكبيرة

* * *

عنينا باستعراض قطعة هاردي في ظل قطعة « الجامعة » وقطعة « لورنس هوب » ، في ظل قطعة « شولميت » لغرض خاص ، هو بيان مدى تأثر الشعر الأوربي وانتفاعه بكتابهم المقدس ، وهو تأثر واضح في هذه القطع جميعاً . في طريقة الإحساس وفي طريقة التعبير على السواء

ونحن نجد القرآن بين أيدينا ، وهو يتبع في التعبير طريقة التصوير الحي ، الذي يزيد مساحة المعنى النفسية ، ويحيله صورة حية ، حتى في الأغراض الدينية البحتة

بين أيدينا هذا الكتاب المقدس يتحدث بأبرع طريقة فنية في الأداء ، فلا ننتفع بها ، ونرجع إلى اقتباس طرق تعبيرنا إلى الشعر العربي ولا سيما في العصر العباسي ، حينما تأثر الشعر بالفلسفة والمنطق ، وبرزت فيه المعاني الذهنية بروزاً واضحاً ؛ ولولا أصالة الطبع في بضعة شعراء في هذا الوقت ، لقضت الطريقة الذهنية في الأداء على الطابع الفني تمام القضاء

إنني أدعو إلى تملي طريقة القرآن في التصوير والتظليل فهي أعلى طريقة فنية للأداء . وإذا كانت وجهة القرآن الدينية ، قد جعلت هذه الطريقة خاصة بأغراض الدعوة الإسلامية . فإن نقلها إلى عالم الأدب خليق بأن يرفع هذا الأدب إلى آفاق رفيعة ، لم تصل إليها حتى الآن . فهلموا إلى ذلك النبع الأصيل . نبع القرآن .

سيد قطب

باللون الذهبي وسط نقوش لازوردية ، ولـكن طمست معالم الـكتابة ، ولم يبق إلا آثار بعض الحروف فصعب قراءتها .

ولا نجد على المخطوط ذكراً للمؤلف . فمن يا ترى مؤلف هذا المخطوط ؟ ذكر ابن النديم أن « أبا دلف القاسم بن عيسى والفتح ابن خاقان وابن المعتز ومحمد بن عبد الله بن البازيار وأبا الفتح محمود ابن الحسين بن شاهن المعروف بكشاجم » ألفوا في الجوارح والصيد . ومؤلف المخطوط الذي بين أيدينا يستشهد بأبيات لابن المعتز وبأخرى لأبي فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ هـ . ونحن نعلم أن أبا دلف توفي سنة ٢٥٦ هـ . والفتح بن خاقان توفي سنة ٢٤٧ هـ . وابن المعتز توفي سنة ٢٩٦ هـ . فيكون المؤلف قد عاش بعد هؤلاء الثلاثة . أما كشاجم وابن البازيار فإنهما كانا معاصرين لأبي فراس ، وكانا من شعراء الدولة الحمدانية في حلب وعاشا في ظلالها ، وتوفي كشاجم سنة ٣٥٠ أو سنة ٣٦٠ هـ . وتوفي ابن البازيار سنة ٣٥٢ هـ . ولـكن لدينا من الأدلة ما تؤيد أن المخطوط هو لـكشاجم وهي :

١ — اتفق الذين ترجموا لـكشاجم أنه كان متضلعاً من علوم عديدة ، وكان كاتباً شاعراً وله كتاب « المصايد والمطارد » وذكر صاحب كشف الظنون (ج ٢ : ص ٢٧٦) كتاب « المصايد والمطارد » لأبي الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم المتوفى سنة ٣٥٠هـ . كما ذكر جرجي زيدان في كتابه تاريخ أدبيات اللغة العربية (ج ٢ : ص ٢٥١) في ترجمة كشاجم وينسب إليه كتاب البزاة في علم الصيد ، منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . مما لا شك فيه الآن أن الـكشاجم كتاباً اسمه (المصايد والمطارد)

٢ — وقد ذكر صاحب هذا المخطوط في باب فضل لحم الصيد ما يأتي :

وأهديت إلى بعض إخواني صيداً وكتبت إليه في عقب علة كان فيها بهذه الأبيات :

أزال الله شكواك وأهـدى لك أفواقا
خرجنا أمس للصيد وكنا فيـه سُباقا
فسمينا وأرسلنا على أسهل إطلاقا
فتـاح الله بالرزق وكان الله رزاقا
فخصلنا من الدرا ج ما الرحل به ضاقا
فأطعمت وأهديت إلى المطبخ أو سـاقا
وخير اللحم ما أقلـقه الجارح إقلاقا
وذو العـادة للصيد إذا أبصره تاقا
فيعدوه بمـا كان إليه الدهر مشتاقا
فـكل منه شـفاك الله مشوياً وأمراقا
فهذا الحفظ للصحة لا تدبير إسحاقا

فرجعت إلى ديوانه المطبوع في بيروت ، فوجدت هذه الأبيات في صفحة ١٢٩ ، ١٣٠ منه

٣ — وذكر مؤلف هذا المخطوط في باب معرفة (أصناف البزاة) قال محمود مؤلف هذا الـكتاب في ذلك شعراً :

حسبي من البزاة والزرارق
سدق (كذا) يصيد صيد الباشق
مؤدب مهـذب الخلائق أصْيدُ من معشوقة لعاشق
يسبق في السرعة كل سابق ليس له عن صيده من عائق
رببته وكنت غـير الواثق من طبعـه بكرم الخلائق
إن الفرازين من البيادق

ونحن نعلم أن اسم كشاجم هو محمود ، وهذه الابيات من نظمه ومذكورة في ديوانه (ص ١٣٣) فلم يبق شك في أن هذا المخطوط هو لـكشاجم

المخطوط الذي بين أيدينا مشوش التبويب . فالناسخ قد سلك في تبويبه طريقة غريبة جداً فإنه بعد المقدمة يشمل على مائة باب وباب واحد (٨٤) منها ذكر معها لفظ باب . فمثلاً (باب ذكر الصيد ، باب فضائل الصيد ، الخ ...) وبعضها يذكر (لفظ باب) فقط و (١٧) لم يذكر معها لفظ باب ، وإنما كتب العنوان مجرداً من الباب مثلاً (معرفة أصناف البزاة) أما بعد الصفحة (١١٦) فإنه قسم الـكتاب إلى أبواب رئيسية يشمل كل باب منها أبواباً فرعية ، فأول هذه الأبواب الرئيسية هو (باب علامات الحص وأدويته) ويشتمل هذا الباب على ثمانية أبواب فرعية ، ثم يليه (باب الأكلة) ويشتمل على بابين فرعيين ، ثم يلي هذا أدوية النفس ويشمل على ستة أبواب فرعية الخ ... وهذه الفرعية بعضها له علاقة بالباب الرئيسي وبعضها ليس له علاقة به . ويختم

٤ ـ فساد الطريقة
في كتاب النثر الفني
للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

سوء الفهم أيضاً

ليس الغريب أن يخطىء صاحب الكتاب ذلك الخطأ الشنيع في فهم الواضح من آيات القرآن الكريم كآية سورة هود التي حللنا فهمه إياها في كلمتنا السالفة ، فإن خطأه ذلك إن هو إلا نتيجة لرأيه في القرآن ، ومصداقاً لقوله تعالى : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه » لكن الغريب أن يخطىء في فهم نصوص ذكرها من كلام الناس خطأ نذكر لك الآن منه صنوفاً

أراد صاحب الكتاب أن يبين أن صحة المعنى لا تكفي لبلاغة الكلام ؛ فزعم أنه « لا يوجد أصدق من قول من قال :

كأننا والماء من حولنا ... قوم جلوس حولهم ماء

وتساءل : ولكن من الذي يقيم وزناً لصدق هذا الكلام ؟ إن هذا الصدق هو التفاهة بعينها »

والتفاهة ليست في صدق البيت ولكن في الفهم الذي لا يدرك أن سر تفاهته هو في الخلف الذي بين شطريه . ذلك أن البيت في صميمه بيت تشبيه ، والتشبيه يتطلب مشبهاً به مغايراً للمشبه ، والقارىء يتوقع هذه المغايرة إذا قرأ الشطر الأول ؛ فإذا وجد الشطر الثاني قد كذب هذا التوقع بجعله المشبه به عين المشبه بطل التشبيه عنده ، وهزىء بالقائل الذي لا يعرف ما هو التشبيه ، وبالبيت الذي يكذب شطر منه شطراً

فالبيت من ناحية التشبيه بيت كاذب : يعد القارىء في شطره الأول بشيء يخلفه إياه في شطره الثاني . وهذا الخلف والتضاد بين شطري البيت هو سر تفاهته . فلو حذفت منه حرف التشبيه ووضعت مكانه حرف التوكيد لزال من البيت الخلف الذي هو نوع من الكذب ، ولحل محله الصدق ، ولارتفعت قيمة البيت ارتفاعاً يجعله بمنجاة من أن يكون مثلاً مضروباً في السخرية والاستهزاء ، لكن صاحب الكتاب غبي عليه أن التفاهة التي يحسها في البيت راجعة إلى هذا النوع من الكذب فيه ، وتصور أن البيت قد بلغ من الصدق الغاية ، فدل بذلك على أنه في الحقيقة لم يفهم البيت

ونص آخر وقف صاحب الكتاب عنده موقف العاجز عن الفهم . قول للباقلاني في كتابه إعجاز القرآن يحتج به لما يراه من أن ما جاء في القرآن على هيئة السجع ليس بسجع « لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وليس

كل باب من الأبواب الرئيسية بقوله مثلاً عند نهاية باب الجص (انقضت أبواب الجص وأدويتها ، بحمد الله وعونه يتلوها إن شاء الله أبواب الأكلة المتولدة في جوف الجارح من الجص وغيره وبالله التوفيق)

وفي الباب الأخير الرئيسي الذي ينتهي به المخطوط تكلم المؤلف عن علاجات مختلفة لأمراض الجوارح ، ثم تكلم عن الكلب وصيده وخصائصه وأمارات الفراهية فيه وأحكامه وأدويته ، وانتقل بعد هذا إلى أدوية الفهود وذكر عنها مقتضباً وهو أدوية الفهود : اعلم أن جرب الفهود يعتريها من بولها فينبغي أن يفرش الرمل تحتها حتى يصفو شعرها ولا يصيبها شيء من بولها إلا يشربه الرمل ، ويبدل الرمل من تحته كل قليل فإذا جرب فاسحق له الكبريت الأصفر ورتبه بالزيت ، واطل بدنه من الجرب فإنه يبرأ منه بإذن الله تعالى والله أعلم

ولهذا فإني أشك أن يكون هذا الكتاب كاملاً إذ ليس من المعقول أن يتكلم المؤلف عن الفهد في هذه الأسطر المعدودة بينما نجده تكلم عن بقية حيوانات الصيد وجوارحه في أبواب متعددة يستوفي البحث ، ومما يزيد في شكي هذا أن الناسخ لم يختم الباب الأخير بالجملة التي يختم بها الأبواب الرئيسية التي بعد ص ١١٦

وفي الكتاب صورتان للباز مرسومتان بالمداد الأحمر ، وهما خاليتان من كل زخرف ، الأولى رسمت تحت عنوان (باب شرح البزاة وصفتها) والثانية مرسومة بين أسطر (باب علامة صحة الجارح) . اهـ

(الموصل) سعيد الديوه جي

كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى» وهذا كلام للباقلانى واضح ، يحدد السجع فى رأيه كما يعرفه فى كلام المستكثرين منه ، ويرى سجع القرآن يمتاز منه بمخالفة هذا الحد والفصل الذى ذكر ؛ فلم يجعله من قبيله ، وافقته على ذلك أو خالفته . وقد أراد الباقلانى أن يؤكد احتجاجه لرأيه ذلك فقال كما روى صاحب الكتاب ، وهذا هو محل الاستشهاد :

« وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

نقل صاحب الكتاب هذا الكلام ، ودل فى الهامش على موضعه من كتاب الباقلانى ، ومضى يلخص الفكرة فيه من غير أن يلحظ أن الكلام فى الأصل ، وكما نقله غير مستقيم مع رأى الباقلانى لتداخل وقع فيه عند طبع الأصل أو عند النسخ استغلق به المعنى على القارئ ، من غير أن يدرك ذلك صاحب الكتاب فيزيل منه التداخل قبل التعليق عليه أو تلخيص الفكرة فيه . والتأمل يبين أن وجه الكلام هو كما يأتى بعد نقل كلة واحدة مكان كلة ، وجملة واحدة مكان جملة :

« وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون اللفظ منتظماً دون المعنى . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره »

وقد تكون الفقرة الأخيرة كما يأتى إذا كان التبادل وقع بين فعلى الشرطيتين لا بين جوابيهما :

« ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

فهذان وجهان للكلام لا بد أن يكون واحد منهما هو ما كتب الباقلانى فى كتابه ، إذ لا يتضح معناه بغير ذلك . لكن صاحب الكتاب لم يفطن إلى ما فى الكلام الذى نقله من تداخل ، ولم يحاول أن يناقش حجة الباقلانى التى استغلقت عليه بذلك التداخل ، وقصر تلخيصه للفكرة على المعنى المتضح من كلام الباقلانى الذى نقلناه أولا ، موهماً أنه قد لخص المعنى فى الكلام كله ؛ فدل بذلك على تقصيره فى فحص الكلام وتقليبه ؛ أو على قصوره فى الفهم والتفكير

والآن ننتقل إلى مثل ثالث يتصل لا بسجع القرآن ، ولكن بالسجع فى القرن الثالث

ذلك أن صاحب الكتاب نقل فى صفحة ٨٤ من الجزء الأول من كتابه نصاً من الجزء الأول من كتاب ضحى الإسلام هو :

« ونحن نعلم أن هذا العصر — عصر الجاحظ — لم يتكلف فيه سجع ، ولم تؤلف فيه كتب مسجوعة كلها ؛ وإن تكلف فيه سجع ففقرة أو فقرتان . فأما كتاب كله سجع فهذا ما لا نعرفه فى هذا العصر »

وواضح أن الإنكار الذى فى هذا النص منصب فى جملته على أن يكون فى عصر الجاحظ كتاب كله سجع ، لكن صاحب النثر الفنى غفل عن هذا أو تغافل عنه فى المناسبات الثلاث التى أشار فيها إلى رأى الأستاذ أحمد أمين

ففى المناسبة الأولى وهى التى دعته إلى ذكر ذلك النص لتخطئته استشهد على إمكان وجود كتاب مسجوع لرجل من كتاب القرن الثالث بحرص « ابن داود على وضع عناوين الفصول مسجوعة فى كتاب الزهرة » وواضح أن القرن الثالث يمتد بعد عصر الجاحظ بنحو نصف قرن ، فلو وجد فيه كتاب مسجوع لما استلزم أن يكون حتماً فى عصر الجاحظ . كذلك من الواضح أن عناوين فصول كتاب ليست هى نفس الكتاب ، فوجود العناوين كلها مسجوعة ليس معناه أن الكتاب نفسه مسجوع كله . لكن ذلك هو مبلغ فهم صاحب النثر الفنى للنص الذى أورده لصاحب ضحى الإسلام ومبلغ تفنيده إياه

وفي المناسبة الثانية يشير صاحب الكتاب إلى رأى الأستاذ احمد أمين بقوله من صفحة ٨٦ : « ولا ينبغي أن نستبعد – كما استبعد الأستاذ احمد أمين – أن توجد مؤلفات مسجوعة في القرن الثالث ؛ فان عصرنا الحاضر ينكر السجع على المؤلفين أشد الإنكار ويراه ضرباً من التكلف الممقوت ، ومع هذا وجدت في عصرنا مؤلفات مسجوعة ، مثل : (صهاريج اللؤلؤ) و (حديث عيسى بن هشام) وابواب من (ليالى سطيح) .

وقد وقع صاحب هذا الكلام في نفس الخطأ الذي وقع فيه آنفاً ، إذ جعل القرن الثالث هو وعصر الجاحظ سواء ، ونسب بذلك إلى أحمد أمين قولاً لم يقله في النص الذي رواه له ، وإن كان أكبر الظن أن القرن الثالث لم يشهد بالفعل كتاباً مسجوعاً كله ، إن لم يكن هناك على عكس ذلك إلا أدلة صاحب الكتاب . ألا ترى أنه لا يفرق بين عصرنا هذا الذي يستنكر فيه التزام السجع والعصر الذي عاش فيه البكرى والمويلحي ؟ أفكان ع يستنكر التزامه قبل نصف قرن حين كتب ذانك ابان ، كما يستنكر ذلك الآن حتى يجعل صاحب النثر الفني ين واحداً ، ويستدل بوجود الكتابين على وجود الضدين في هذا العصر ؟ أم كان التزام السجع مستحسناً كل الاستحسان حين كتب ذانك الكتابان فلا يكون لصاحب النثر الفني فيهما إذن دليل أو برهان ؟

ويقول صاحب الكتاب في مناسبة ثالثة في صفحة ٩٦ : « والقرن الثالث يسميه صديقنا الأستاذ أحمد أمين (عصر الجاحظ) وينفي عنه السجع ، مع أن الجاحظ يسجع ولا يخرج من السجع إلا إلى الازدواج » . أقرأت هذا ووعيته ، وأدركت الفرق بين ما ينسبه صاحب النثر الفني إلى صاحب ضحى الإسلام هنا ، وبين النص الذي يرويه له هناك ؟ صديقه الأستاذ أحمد أمين يسمى القرن الثالث عصر الجاحظ ، وصديقه الأستاذ أحمد أمين ينفي عن القرن الثالث السجع ! وهكذا يصح في فهم صاحب الكتاب أن يمتد عصر الجاحظ إلى سنة ٣٠٠ هـ ، لأن الجاحظ مات سنة ٢٥٥ هـ ، وأن ينفي مؤرخ السجع عن القرن الثالث لأنه نفى وجود كتاب كله سجع في ذلك القرن ، أو في النصف الأول من ذلك القرن !

فقد رأيت الآن ثلاثة أوجه لفهم دكتورنا البحاثة لنص واحد لمؤلف معاصر ، ورأيت كيف يحوره ويدوره حتى صيره إلى ما رأيت وما ترى . والأمر إليك الآن في تسمية هذا النوع من التفكير بحثاً أو تسميته عبثاً ، وفي تسمية هذا النوع من التصوير تصريفاً أو تحريفاً ، ومن النقل مسخاً أو نسخاً ، ثم في تسميته هذا كله عجزاً عن الفهم أو اقتداراً عليه ، وصلاحاً في الطريقة أو فساداً ؛ فإن الأمر جل عن التلاحي ، أو قل كما تشاء أن تقول

محمد أحمد الغمراوي

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٩٩ — قم فبيّن لقدره بمثال

في (قلائد العقيان): ساير أبو محمد عبد الجليل بن وهبون[١] الوزير الأستاذ أبا بكر بن القبطرنة وهو غلام يجار بجتليه، ويغار غصن البان من تثنيه، وقد وضع يمناه في شماله، وتضوع عرف آماله، والناس ينظرون هلال شوال؟ فقال:

يا هلال، استتر بوجهك عنى ... إن مولاك قابض بشمالى
هبك تحكى سناه خدا بخد ... قم فبين لقدره بمثال

٦٠٠ — ما ليس عندى من إحدى المصيبات

قال الربيع بن سليمان: قصد الشافعي رجل يطلب منه شيئاً فأعطاه ما أمكنه ثم أنشأ يقول:

يا لهف نفسى على مال أفرقه ... على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى ... ما ليس عندى من إحدى المصيبات

٦٠١ — الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء

الظرائف واللطائف للمقدسي: قيل لبنت أرسطاطاليس: ما أحسن ما في المرأة؟

قالت: الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء

٦٠٢ — وضربت للحدثان والحرب

في (الكامل): كانت رُكب[٢] الناس قديماً من الخشب فكان الرجل يُضرب ركابُه فينقطع؛ فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد، فأمر المُهلّب[١] فضربت الركب من الحديد، وهو أول من أمر بطبعها[٢]، ففي ذلك يقول عمران بن عصام:

ضربوا الدراهم في إمارتهم ... وضربتَ للحدثان والحرب

٦٠٣ — ما أعجب هذه القصة!

(وفيات الأعيان): كان أبو بكر محمد بن السرى المعروف بابن السرّاج أحد الأئمة المشاهير[٣] المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والأدب. وكان يهوى جارية فجفته، واتفق وصول الإمام المكتفي (العباسى) في تلك الأيام من الرقة[٤]. فاجتمع الناس لرؤيته، فلما رآه أبو بكر استحسنه، وأنشد أصحابه هذه الأبيات:

ميّزت بين جمالهـا وفعالها
فإذا الملاحة بالخيانة لا تفى[٥]
حلفت لنا ألاّ تخونَ عهودنا
فكأنما حلفت لنا ألاّ تفى
والله لا كلّمتها ولو أنها
كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

ثم إن أبا عبد الله محمد بن اسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها أبا العباس بن الفرات وقال: هي لابن المعتز، وأنشدها أبو العباس القاسم بن عبيد الله الوزير. فاجتمع الوزير بالمكتفى وأنشده إياها، وقال للمكتفى هي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فأمر له بألف دينار فوصلت إليه؛ فقال ابن زنجي: ما أعجب هذه القصة! يعمل أبو بكر بن السراج أبياتاً تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن طاهر

---

(١) وله، وقد اجتاز على فرن وبده مرتبطة بيد أحد فتيان أشبيلية يُسمى ربيعاً، فقال له: صف لنا هذا الفرن فقال:

رب فرن رأيته يتلظى ... وربيع مخالطى وعقيدى
قال شبه نفث صدر حسود ... خالطته مكارم المحسود

(٢) رُكب: جمع رِكاب. الأساس: ووضع رجله في الركاب

(١) أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة بطل أي بطل وعبقري في سياسة الحرب. وفي (الايجاز والاعجاز) للثعالبي من كلامه: الاقدام على الهلكة تغرير، والاحجام عن الفرصة جبن شديد

(٢) طبعها: عملها. الأساس: طبع السيف والدرهم ضربه.

(٣) المشاهير في كلام العلماء والأدباء كثير.

(٤) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، ويقال لها الرقة البيضاء (معجم البلدان)

(٥) (فعالها) قال المبرد الفعال يكون في المدح والذم وهو مخلص لفاعل واحد وإذا كان من فاعلين وهو فعال بالكسر (التاج).

مشهد من الفصل الأول من :

قصر الهـــــودج (*)

للأستاذ على أحمد باكثير

[كان الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله مغرماً بحب البدويات فسمع بجمال فتاة من بادية الصعيد فأرسل إلى أبيها يخطبها فرد الرسول ، فذهب بنفسه متنكراً كأنه رسول آخر من الخليفة . وطلب من أبيها أن ينفرد بسلمى ليقنعها بقبول الخليفة فوافق أبوها (الشيخ عمار بن سعد) . فلما خلا بها اجتهد بكل وسيلة أن يجعلها تعدل عن حب ابن عمها (ابن مياح) وتقبل يد الخليفة الفاطمى ولكن سلمى أصرت على الاعتذار بحب ابن عمها ، وإيثار حياة البادية على حياة القصور . وعندئذ غير الرسول مهجته وقال لها :

الرسول (الخليفة نفسه) :

عِشْتِ يا سلمى طليقهْ لستِ لِلْمُدْنِ صديقهْ
لا تحبِّين مغانيـ ـها ولا الدور الأنيقه

سلمى (يبدو فى وجهها السرور) :

الطف الله بحالكْ قد فهمتَ الآن قصدى

الرسول :

كيف لا أفهم ذلك والذى عندكِ عندى ؟
أنا من رأيكِ يا سلـ ـمى ومَيْلى مثلُ مَيْلِكْ
آهِ لو تسمح لى الأيـــام يا سلمى بِنَيْلِكْ !
أنتِ لى لستِ لغيرى وأنا لستُ لغيركْ إن لى قلباً كقلبِكْ !

سلمى (مدهوشة) : عجباً ! هل أنت مجنون ؟

الرسول :

نعم يا نور عيـــــنى أنا مجنونٌ بحبّكْ !
قَسَماً بالدُّرِّ فى ثغرِ كَ والوردِ بخـــدِّكْ
إننى عبدُكِ يا سلـ ـمى حنانيْكِ بعَبْدِكْ !

سلمى :

حَسْبكَ أخرس ! قطع الله لسانك !

الرسول :

يا حياتى حفظَ الله زمانَكْ !
أتسبِّين لساناً يتغـــنَّى بعبيركْ وجمالِكْ . وشذاءِكْ ؟

سلمى :

بل لساناً كاذباً خنت به عهد أميرك باحتيالك وخداعك !

الرسول :

الأمير انسيْه لا تُجريه يا سلمى ببالكْ أو خيالكْ
أنا خير منه يا سلمى وأولى بجمالكْ ودلالِكْ !

سلمى :

آه لو يسمع ما قُلْتَ المَلِكْ لمحاك السيف من هذا الوجود !

الرسول :

كيف يمحو السيف صبًّا هام بكْ
حُبُّكِ الخالدُ أولاهُ الخــــلود ؟

سلمى :

سيف مولانا الخليفه سيُعافيكَ غداً من جنونكْ !

الرسول :

ليس لى للقتل خِيفَه فلقد ذُقْتُ الرَّدَى من عيونك !

[يزحف نحوها ويقترب منها]

العيون السود هذِى ما لها كُفْؤٌ سواى
والجبين الحُرُّ هذا ما له غير هواى !
وَفَمُك الحلوُ العقيقىُّ الجميلْ ما براه اللهُ إلا لفمى !

[تلطمه سلمى بكفها على وجهه]

لطمةٌ منكِ شـــفاء للعليل فأعيديها ... بروحى ودمى !

[وهنا استغاثت سلمى بأبيها فأراد الوثوب بالرسول فكشف له أنه الخليفة فارتاع الشيخ عمار]

عمّار (معتذراً) :

ما الذى ضرك لو أخبرتنا فاحترمناك أمير المؤمنين ؟

الخليفة :

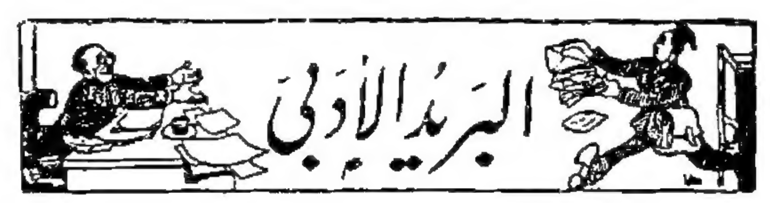
شِئْتُ أن أشهد سلمى وأراها دون أن تعرف سلمى من أنا
علنى أُدرِكُ من سلمى رِضاها فإذا فُزْتُ به نلتُ المنى !
غير أنى خاب فيها أملى ولقيت الهجر منها والصدود
واشقائى ! كل هذى الأرض لى غير سلمى لم أفُزْ منها بجود !

سلمى :

لستُ يا مولاى إلا أَمَتَكْ كيف تعصى أَمَةٌ سيدها ؟

---

(١) عنوان مسرحية شعرية غنائية (أوبرا) ستطبع قريباً



عودة إلى وحدة الوجود

رأيت في العدد ٥٨٦ من مجلة الرسالة الغراء عودةً إلى موضوع « وحدة الوجود » بقلم العالم الأستاذ عبد المنعم خلاف. فوددت لو يسمح لي الأستاذ البليغ صاحب الرسالة وحضرات الكتاب فيها وقرائها قول كلمة أخرى في هذا الموضوع الذي هو من الأهمية بمكان عظيم الشأن

« وحدة الوجود » بالمعنى الذي فهمناه من سياق المناقشات فيها في هذه المجلة هي أن الله متحد في الكون المادي بحيث يكون والكون شيئاً واحداً. وهي بالحقيقة قضية فلسفية مختلفة النظريات باختلاف الفلاسفة الذين بحثوا فيها. وليس هنا محل الكلام فيها

الأديان السماوية الثلاثة ترفض هذه النظرية الفلسفية رفضاً باتاً. وهي مجمعة على أن الله والوجود المادي شيئان مختلفان. ولكل منهما ذاتية قائمة بذاتها منفصلة عن الأخرى، وأن الله الواجب الوجود الذاتي خالق الوجود المادي ومسيّره

إنما كانت تُرجّي رحمتك انتَ مولاها فَهَبْها يدها !

الخليفة : أنا يا سلمى الذي يرجو رضاك !

سلمى : أنا يا مولاي من ترجو نداكْ !

الخليفة : انت يا سلمى التي لا ترحمين !

سلمى : إنما الرحمة حق المالكين !

الخليفة : أنا مِلْكٌ لغرامك !

سلمى : أنا مِلْكٌ لحسامك !

الخليفة : اعلمي أن غرامي بكِ أمضى من حسامي

لِمَ لا تفدين يا ما لكتي مِلكَ غرامي ؟

سلمى : لستُ أهلاً لك يا مولاي !

الخليفة : أنا أهلٌ لكِ يا دنيايْ !

سلمى : أنت أهلٌ لي وأملٌ لسواي !

علي أحمد باكثير

هذه النظرية عقيدة دينية مقررة في تعاليم كل من الأديان الثلاثة لا تقبل النقض ولا التنقيح ولا التعديل، وقد أصبحت تقليداً متحجراً منذ عهد موسى إلى اليوم لا تمكن زعزعته ولا تليينه بوجه من الوجوه. وإذا رام شخص أو جماعة أو طائفة تعديل هذه العقيدة في مجمع أو في مؤتمر عدّ أهل الأديان الثلاثة هذا التعديل بدعة وزندقة وكفراً

على أن للفلاسفة من عهد لوسيبيوس وديموقراطس ولوقريطس «قبل المسيح» إلى عهد سقراط وأفلاطون وأريسطو ومن تلاهم بعد المسيح إلى اليوم نظريات مختلفة متباينة في علاقة الله بالوجود المادي بعضها تنزهه عن المادة وبعضها تدمجه فيها. وبين النظريتين درجات متفاوتة ووجوه مختلفة. ولهم في نظرياتهم تعاليل بعضها منطق معقول كثيراً أو قليلاً، وبعضها سخيف لا يقبله عقل ولا يطابق منطقاً

فمن رام أن يبحث في « وحدة الوجود » أو ثنائيته فيما يخرج عن عقيدة الأديان الثلاثة فليعلم أنه يتعرض لتهمة الكفر والإلحاد، ولا يسلم من لسع الألسنة الحداد. لأنه ليس في بيئتنا الفكرية في البلاد العربية محل لحرية الفكر أو القول أو القلم. فأي بحث فلسفي أو علمي يحتمل أن يساق إلى قضاء الامتحان الديني، وتنسب له تهمة المساس بالعقيدة الدينية، ويُحمَل عليه حملة تكافئه. وحينئذ على الباحث أن يدافع عن بحثه لتبرئته من تهمة الكفر والإلحاد، وإلا لسعته الألسنة الحداد.

يستحيل على من يتصدى للمسائل العلمية أو الفلسفية عن الوجود فيما وراء الطبيعة أن يستطيع التوفيق بين فلسفته والعقائد الدينية الراسخة إذا كان بين الفريقين تناقض أو تضاد، ويستحيل أن يسكت عليه الدينيون إلا إذا قاد النظرية الفلسفية أو العلمية إلى الطاعة العمياء للعقيدة الدينية. وحينئذ يكون قد فكر بالفلسفة والعلم

فحذار أيها العلماء من التفلسف بوحدة الوجود، لأن الموضوع وعر خطر.

نقولا الحداد

حول وحدة الوجود

عنت لي ملاحظة يسيرة على نقطة هامة في مقال الأستاذ خلاف المنشور بالعدد ٥٨١ من الرسالة الغراء ، وهي :

هل توهم الخليل أن هناك أدوات للخلق والتكوين ؟

قال الأستاذ ذلك ، ولذلك سأل «أي الخليل» ربه سؤاله ؛ فمن أين للأستاذ الفاضل هذا الفهم ، والسؤال بكيف عن الحال ، ولو كان كما أراد الأستاذ خلاف أن يفهم لكان السؤال هكذا بأي شيء تحيي الموتى ؟ فيؤتى بأي التي هي صالحة لاستعمالها في أنواع المستفهم عنه ؛ على أن الأستاذ الفاضل فسر صرهن بـ « اذبحهن » ، وهذا ينافي صريح اللغة وسياق الآية الكريمة ، إذ بعد أن يسرد الكشاف القراءات التي وردت في تلك اللفظة الجليلة وكلها يدور حول الضم والجمع ينشد قول الشاعر :

ولكن أطراف الرياح تصورها

وقول الشاعر :

وفرع يصير الجيد وحف كأنه

على الليث قنوان الكروم الدوالح

وبدهي أنه لا معنى أصلاً لأذبحهن إليك ، ولكن الضم إليه ليتأملها ويعرف أشكالها وحلاها ، هذا من حيث اللغة والمنطق . والأستاذ هو من هو فيهما

وأما من حيث الأخبار الصحيحة الواردة في هذا المقام — والأستاذ الدين الحصيف — فهو ما رواه البخاري في صحيحه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ ... الخ »

وبعد أن علق الشراح بآرائهم على هذا الحديث الشريف اخترت « هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان وتقوية لليقين بالمشاهدة بعد العلم » . حكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاء لنفي المعنى عن الشيئين نحو قوله سبحانه : « أهم خير أم قوم تبع » ، أي لا خير في الفريقين ، وجواب الخليل عليه السلام ، ولكن ليطمئن قلبي ، يؤيد ذلك ، هذا وللأستاذ ثنائي وإعجابي

« شبرا بابل » إبراهيم السعيد عجلوني

من غير تدليس :

في عدد الثقافة الأخير قرأت كلمة للأستاذ (ح . ج) تحت عنوان : « سعد وسعوده » جاء فيها : « نريد أن نتكلم عن سعد — الإنسان العادي — لا عن سعد الزعيم المتفرد ، ولا عن سعد الخطيب المصقع ، ولا عن سعد الخصم الجبار ، فإن قصر الحديث في هذه الناحية وحدها من نواحيه المتعددة خليق أن يضرب بينه وبين الناس حجاباً يحول دون انتفاعهم بقدرته ، والنسج على منواله في الحياة

وإني لأذكر أن كاتباً من كتابنا النابهين كتب عن شخصية سعد فقال ما معناه : إن الإنسان لينظر إلى سعد فيحس أنه على مقربة من رجل ممتاز في جسمه كما هو ممتاز في عقله . وإن طلعته لتذكر الناظر إليه بطلعة الأسد . وإنه ليس بين الوجوه الآدمية ما هو أشبه في قسماته ومهابته من سعد زغلول

« أذكر أني قرأت هذا الوصف في كتاب كنت أرجو أن ألتمس فيه لنفسي عوناً على الوصول إلى شيء من أسباب العظمة التي سلكت سعداً في سجل العظماء ؛ فإن الإنسان ليقرأ سير العظماء ويبتغي أن يقع فيها على سرهم ، لعله أن يصيب حظاً مثل حظهم . ولكني قمت إلى المرآة بعد قراءة هذا الوصف أتفحص قسمات وجهي . فلم أر فيها شيئاً يشبه الأسد من قريب ولا من بعيد . ورأيتني فرد كغيري من الآدميين الكثيرين ، فارتددت وفي نفسي شيء من خيبة الأمل على أن الطبيعة سلبتني أول مقومات العظمة التي حبت بها زعيمنا الخالد !

« وأنا اليوم لا أريد أن أدفع اليأس في قلب قارئ جديد بالتحدث عن عظمة سعد ، ولذلك اخترت أن أتحدث عنه لا بوصف كونه أمة في فرد ولا بوصف كونه الجبار العنيد ، ولا على أنه الشجاع الأعزل الذي وقف في وجه الدولة المسلحة

« ولكني أريد أن أكتب عنه باعتباره إنساناً له نواحي ضعفه أحياناً ، وله من الصفات الكثيرة ما يشاركه فيه كل إنسان آخر »

ثم تحدث الأستاذ (ح . ج) عن رقة شعور سعد التى جملته لا يطيق باكيا أمامه ولا يستقبل أم المصريين فى جبل طارق على المرسى خوف أن تجيش نفسه . وعن اضطلاعه بالمهام الكبار وهو مريض بجملة أمراض . وعن إثارة الأزمات لحيويته ونفى المرض عنه . وعن فكاهته مع الأزهريين الذين طلبوا إرسالهم فى بعثات إلى أوربا . وعن مداعبته لزملاء المنفى فى مالطة المتأثرين لما يصيب زوجاتهم من قلق عليهم بأن يخبروهن أنهم تزوجوا غيرهن فيبطل القلق !

* * *

والذى يقرأ هذا الكلام بما فيه من تهكم على حكاية وجه الأسد «يخيل إليه أن الكتاب الذى يشير إليه الأستاذ (ح . ج) قد ساركاه على النسق الذى عرض الأستاذ به ، وأنه أغفل من سعد تلك الجوانب الإنسانية التى فطن إليها كاتب المقال

ولما كنت أذكر ذلك الكتاب الذى يعنيه فقد عدت إليه فوجدت أن « كاتبا من كتابنا النابهين » هذا . هو الذى يقول فى كتابه بتطويل وتفصيل نجمله فى اختصار شديد :

« إن الذى يحسب سعدا مكافحا مناضلا فقط يخطىء فى فهمه ، وأنه : «لم يكن أصلح منه للعطف والصداقة وحسن المودة والأنس بالناس والارتياح إلى المعاشرة . وقد حفظ قلبه الكبير ما أودعته الفطرة من ذخيرة العطف الزاخر إلى آخر أيام الحياة . فإذا تأثرت نفسه بحالة مفرحة أو محزنة ؛ فكثيرا ما تغرورق عيناه أو تنهملان بالدمع الغزير . وكان فى مجالسه الخاصة من أقدر الناس على مؤانسة الجلساء بالحديث الشائق والفكاهة الحاضرة والجد المطبوع ، ثم يذكر بالذات حكاية أنه لم يكن يطيق باكيا ، وأنه لم يستقبل أم المصريين فى جبل طارق ، وفكاهته مع الأزهريين ودعابته لزملاء مالطة فى هذا الموضع . ويذكر فى موضع آخر استجاشة الأزمات لحيويته واضطلاعه بالأعباء مع مرضه ... وهو كل ما ذكره الأستاذ (ح . ج) ثم نزيد جوانب إنسانية أخرى له فى بيته ومع أصدقائه وخصومه ، ويكشف عن هذه الجوانب فى سعد بكل تفصيل

* * *

هذا الكتاب هو كتاب « سعد زغلول . سيرة وتحية » ، وهذا « الكاتب من كتابنا النابهين » هو الأستاذ العقاد . . .

أما الأستاذ (ح . ج) فمن رجال القضاء العادلين !

سيد قطب

تصويب

ورد البيت الآتى :

وساقين إن يستمكنا منك يتركا
بجلدك يا غيلان مثل (المآثم)

فى الكلمة التى وجهها الأستاذ الشرباصى إلى الأستاذ (الجليل) فى العدد (٥٨١) من الرسالة . والصواب أن تكون (المآثم) المياسم جمع ميسم ، وهو المكواة . وبها تتم روعة التشبيه الذى يهدف إليه الشاعر ؛ فما يريد سوى تشبيه أثر الساقين بأثر الميسم فى الجلد .

حسين محمود البشبيشى

مجلة الأنصار

أصدرت مجلة « الأنصار » العربية الإسلامية فى غرة شهر رمضان عددا من أعدادها الممتازة خصصته للكتابة المستفيضة والدراسة التحليلية لموضوع «القصص والأساطير فى الشرق» . وقد طالعنا هذا العدد فوجدناه حافلا بالأبحاث العربية الصادقة عن نشأة الأساطير الشرقية . وقد لفت نظرنا بحث واف طريف عن كتاب الشرق القصصى « ألف ليلة وليلة »

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)